

تفسير البحر المحيط

@ 312 @ وابنهما يحيى . وقرأت فرقة يدعونا حذف نون الرفع وطلحة بنون مشددة أدغم نون الرفع في نا ضمير النصب . وقرأ ابن وثاب والأعمش ووهب بن عمرو والنحوي وهارون وأبو معمر والأصمعي واللؤلؤي ويونس وأبو زيد سبعتهم عن أبي عمر و { رَغَبَاً } ورهباً { بالفتح وإسكان الهاء ، والأشهر عن الأعمش بضميتين فيهما . وقرأ فرقة : بضم الراءين وسكون الغين والهاء ، وانتصب { * } بالفتح وإسكان الهاء ، والأشهر عن الأعمش بضميتين فيهما . وقرأ فرقة : بضم الراءين وسكون الغين والهاء ، وانتصب { رَغَبَاً وَرَهَبَاً } على أنهما مصدران في موضع الحال أو مفعول من أجله . .

{ وَاللَّيْلَى أَحْضَنَتْ فَرَّجَهَا } هي مريم بنت عمران أم عيسى عليه السلام ، والظاهر أن الفرج هنا حياء المرأة أحسنه أي منعه من الحلال والحرام كما قالت { وَلَمْ يَمَسَّ سِنِي بَشَرٍ وَلَمْ أَكُ بِغَيِّلٍ } . وقيل : الفرج هنا جيب قميصها منعه من جبريل لما قرب منها لينفخ حيث لم يعرف ، والظاهر أن قوله { فَذَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُّوحِنَا } كناية عن إيجاد عيسى حياً في بطنها ، ولا نفخ هناك حقيقة ، وأضاف الروح إليه تعالى على جهة التشريف . وقيل : هناك نفخ حقيقة وهو أن جبريل عليه السلام نفخ في جيب درعها وأسند النفخ إليه تعالى لما كان ذلك من جبريل بأمره تعالى تشريفاً . وقيل : الروح هنا جبريل كما قال { فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا } والمعنى { فَذَفَخْنَا فِيهَا } من جهة جبريل وكان جبريل قد نفخ من جيب درعها فوصل النفخ إلى جوفها . .

قال الزمخشري : فإن قلت : نفخ الروح في الجسد عبارة عن إحيائه قال □□ تعالى { فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي } أي أحييته ، وإذا ثبت ذلك كان قوله { فَذَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُّوحِنَا } طاهر الإشكال لأنه يدل على إحياء مريم . قلت : معناه نفخنا الروح في عيسى فيها أي أحييناه في جوفها ، ونحو ذلك أن يقول الزمار نفخت في بيت فلان أي نفخت في الزمار في بيته انتهى . ولا إشكال في ذلك لأنه على حذف مضاف أي { فَذَفَخْنَا فِيهِ } ابنها { مِنْ رُّوحِنَا } وقوله قلت معناه نفخنا الروح في عيسى فيها استعمل نفخ متعدياً ، والمحفوظ أنه لا يتعدى فيحتاج في تعديه إلى جماع وغير متعد استعمله هو في قوله أي نفخت في الزمار في بيته انتهى . ولا إشكال في ذلك . وأفرد { ءَايَةً } لأن حالهما لمجموعهما آية واحدة وهي ولادتها إياه من غير فعل ، وإن كان في مريم آيات وفي عيسى آيات لكنه هنا لحظ أمر الولادة من غير ذكر ، وذلك هو آية واحدة وقوله {

لِلْعَالَمِينَ } أي لمن اعتبر بها من عالمي زمانها فمن بعدهم ، ودل ذكر مريم مع الأنبياء في هذه السورة على أنها كانت نبيه إذ قرنت معهم في الذكر ، ومن منع تنبؤ النساء قال ذكرت لأجل عيسى وناسب ذكرهما هنا قصة زكريا وزوجه ويحيى للقراءة التي بينهم . .

{ إِنَّ هَٰذَا هِ أُمِّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ * وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَهِنَا رَاجِعُونَ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ * لَهُ كَاتِبُونَ * وَحَرَامٌ عَلَيَّ قَرْيَةٌ أَهْلَكَ ذَٰهَا أَهْلَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ * حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْأُجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ * واقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ * إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ * لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلَهِةَ مَا وَرَدُوا هَٰذَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ * لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ } . .

والظاهر أن قوله { أُمِّتُكُمْ } خطاب لمعاصري الرسول صلى الله عليه وسلم) و { هَٰذَا هِ } إشارة إلى ملة الإسلام ، أي إن ملة الإسلام هي ملتكم التي يجب أن تكونوا عليها لا تنحرفون عنها ملة واحدة غير مختلفة ، ويحتمل أن تكون { هَٰذَا هِ } إشارة إلى الطريقة التي كان عليها الأنبياء المذكورون من توحيد الله تعالى هي طريقكم وملتكم طريقة واحدة لا اختلاف فيها في أصول العقائد ، بل ما جاء به الأنبياء من ذلك هو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم) . وقيل : معنى { أُمِّةً وَاحِدَةً } مخلوقة له تعالى مملوكة له ، فالمراد بالأمّة الناس كلهم . وقيل : الكلام يحتمل أن يكون متصلاً بقصة مريم وابنها أي { وَجَعَلْنَا ذَٰهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ } بأن بعث لهم بملة وكتاب ، وقيل لهم { إِنَّ هَٰذَا هِ أُمِّتُكُمْ } أي دعا الجميع إلى الإيمان بالله وعبادته . . ثم أخبر تعالى أنهم بعد ذلك اختلفوا { وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ } وقرأ الجمهور { أُمِّتُكُمْ } بالرفع خبر { إِنْ } * أُمَّةً وَاحِدَةً { بالنصب على الحال ، وقيل بدل